چهار اثر مهم روحی و معنوی زیارت سید الشهداء(ع) بر زائر

علیرضا پناهیان

بیان معنوی
panahian.ir

چهـــار اثر مهـــم روحی و معنوی زیارت ســـید الشـــهداء(ع) بر زائر

متن سخنرانی علیرضا پناهیان در حرم امام حسین(ع) به زبان عربی

فهرست عناوین

مقدمه ۴
۱) الأثر الأول هو إزالة التكبر ۴
۲) الأثر الآخر للزيارة هو أن الزائر يُصبح رؤوفا ۵
۳) الأثر الثالث للزيارة هو الشعور بالعزة والفخر ؛ ۵
۴) الأثر الرابع لزيارة الإمام الحسين (ع) بالأخص وسط الجموع الغفيرة هو الشُعور بالهوية الإسلامية والشيعية الأمر الذي يُؤدي إلى قوة الأمة الإسلامية وصلابتها ۶

مقدمه

آثار زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام كثيرة جدا وإن الروايات الكثيرة التي تَعِدُ زائر الحسين عليه السلام بغفران ذنوبه لدليل واضح على الآثار الكبيرة لزيارته عليه السلام على الزائر.

فإن بإمكان زيارة الإمام الحسين عليه السلام أن تَشفِي الإنسان من مختلف الأمراض والأزمات الروحية. إذن فإن بإمكان كل زائرٍ أن يحصل من الزيارة على الآثار التي تناسب حاجته الروحية.

إن النورانية والروحانية المستحصلة من زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام والتي يَشعرُ بها عادةً جميع الزائرين هي نتيجة تَطَهُّر الزائر من المعاصي. وهذه النورانية تَغمر صاحبها بكمية هائلة من النشاط والسكينة والقوة. وهو ما يَجعل الشخص اليقظ القلب غير قادر على العيش من دونها. فتَراه يَشعُر في داخله - بين الحين والآخر - بحاجة مُلِحَّة إلى الزيارة. فلا يَهدأ له بال حتى تَطأ أقدامه أرض المرقد الشريف.

وإذا أحببنا تناوُلَ أهم هذه الآثار فبِاستطاعتنا القليلة الإشارة إلى أربعة منها:

■ ١) الأثر الأول هو إزالة التكبر

لقد صُنِّف التكبرُ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام بأنه « أعظَمُ الذُّنوبِ » و« رأسُ الطُّغيان » و« أقبَحُ الخُلق ». وإن إزالة التكبر هو على جانب كبير من الأهمية حتى إن الروايات جَعَلَت الهدف المهم لصلاة الفريضة اليومية تنزيه الإنسان من الكبر. كما جاء في الخطبة المعروفة لسيدتنا فاطمة الزهراء سلام الله عليها والمشهورة بالخطبة الفدكية: «فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً مِنَ الْكِبْر.»

من هُنا فإن علينا أن نَدأَب على إزالة الكبر من نفوسنا. لأنه يَنمو فيها باستمرار كالأعشاب الضارة. ولإن الإمام الحسين عليه السلام قد استُشهِد مظلوماً فإن لزيارته تأثيرا مميَّزا في محو التكبر من نفوسنا.

و لأن الشهيد يَهوي على الأرض فإنه يَنفُض على النفوس الإنسانية المستعدة ترابَ التواضع. وسيد الشهداء(ع) هو أعلى مصداق لقولهم: « كُونُوا دُعَاةَ النَّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُم »

القرءان الكريم قد عدَّ الكبر سبب تكذيب الأنبياء غالباً. كقوله تعالى: (أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وفَرِيقاً تَقْتُلُونَ(بقره/٨٧)) وقوله: (ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وهارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ ومَلَائِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ(يونس/٧٥)) وقوله تعالى عن لسان النبي نوح(ع): (وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وأَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً(نوح/٧)) إنها لقاعدة وسيرة متكررة على مر التاريخ.

لقد قال الله سبحانه لموسى(ع): (اذهب إلى فرعون إنه طغى(طه/٢٤)). يعنى عسى أن تخرق حجاب طغيانه. الذي جعله يقول: (أَنَا رَبُّكُم الأَعْلَى(نازعات/٢٤)). وقد كان طغيانه ناجماً عن كبره.

وها هو الإمام الحسين(ع) يُزيلُ الكبرَ الخفيَ من القلوب ويُمهِّد الإنسان لتقبل الحق ويجعله متواضعا لأولياء الله بل حتى يَقضِي على صنوف الحسد. فالإمامُ الحسينِ(ع) هو مصدر تواضع الإنسان للحق والعبادة تَحيَى في هذا الحرم ومن ثَم تَنتشر في باقي أرجاء العالم.

■ ٢) الأثر الآخر للزيارة هو أن الزائر يُصبح رؤوفا

من الطبيعي أنه عندما يَتَراجع التكبر في نفس الإنسان يَحلّ التواضع والحب محلّه الحب الذي يصل حد التضامن المجتمعي والإيثار. النموذج الواضح لهذا الأثر هو رأفة الزائرين ببعضهم البعض ولا سيما في أيام الزيارة الأربعينية وإن الأثر الاجتماعي لهذه الرأفة هو ارتفاع صوت السلم ونبْذ الخلافات والنزاعات جانبا. وهذا ما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة: « بِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ.»

لابد للائتلافات الحقيقية أن يصحبها الحب والإيثار. وإلا سيكون مؤقتا ومُمِلًّا. إن الرأفة التي تَبَلورت بين زائري أبي عبد الله الحسين(ع) مُمتعة جدا ودائمة ولا تكون مُملة أبدا بل هي في تصاعد يوما بعد يوم. وهذه من معاجز أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

أساسا زيارة الإمام الحسين(ع) هي في الواقع زيارة مصدر الحب والرأفة. وفي هذا الحرم الشريف وأينما ذُكِرَ الحسين(ع) حيث يكون شعبة من شعب هذا الحرم الشريف تجد الآباء صاروا أرحم بأسرتهم والأمهات أرحم بأزواجهن وأولادهن والإخوة والأخوات بعضهم أرحم ببعض والأعمام والاخوال كذلك. وذلك لأن الإمام الحسين(ع) قد شَيَّد أركان ثورته العظمى بأفراد أسرته. ولأن معظم مصائب الإمام الحسين(ع) تَدور حول محور الحب بين هؤلاء الأرحام.

فكيان الأسرة يَقوَى بذكر مصائب الإمام الحسين(ع) وزيارته؛ الأمر الذي آل إلى الانقراض في الحضارة الغربية ـ

■ ٣) الأثر الثالث للزيارة هو الشعور بالعزة والفخر؛

ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام صاحب ملحمة ولقد جاد بنفسه في سبيل الله بشجاعة وإنه عليه السلام يَمنَح عزّته هذه لزائره. فزائر الحسين عليه السلام لا يمكن أن يُستَعبد. وهذا تحديداً هو ما جَعل الطواغيت على مر التاريخ يحاربون زيارة الإمام الحسين عليه السلام بكل ما أوتوا من قوة.

حينـما تنظـر إلى مسـيرات العـزاء وإلى القصائـد واللطميات تَجد أغلبها أشـبه بالرتل العسـكري الـذي جاء لنصرة الإمـام منها إلى مراسـم العزاء. فكأنهم في ضمن إقامة عزائهم ينشـدون رجزا. وهؤلاء المعزون هم الذين سـينصرون الإمام المهدي المنتظر(عجل اللـه تعالـى فرجـه) في آخر المطاف ويأخذون بثأر الحسـين(ع) تحت شـعار يا لثارات الحسـين.

إن مقيمـي عـزاء الحسـين ليسـوا بجماعـة حزينة كئيبة. ليس شـأنهم سـوى الحسرة والأسى وإنمـا هم أقوياء تَجَسَـد في وجوههم شـعار الحسـين الذي هتف بـه في كربلاء قائـلا: هَيهاتَ مِنَّـا الذِّلَّة.

■ ٤) الأثـر الرابـع لزيـارة الإمـام الحسـين عليـه السـلام بالأخـص وسـط الـجموع الغفـيرة هـو الشُـعور بالـهوية الإسـلامية والشـيعية الأمـر الـذي يُـؤدي إلى قـوة الأمـة الإسـلامية وصلابتهـا

وإن الشـعور بالـهوية هـو مـن الاحتياجـات الـمهمة والأساسـية للمجتمـع ولا سـيما الطبقـة الشـابة منه وبخلافه سيستشـعر الشـباب الضعـف وسيستسـلم للثقافـات الغازية.

حينـما يجـد الشـاب نفسـه بـين جماهـير زوار الحسـين ويرى نفسـه أحد أفـراد هذا الجمـع المتلاحم ذي الشـوكة والعـزة فذلك يُرسِّـخ فيـه هويتـه الدينيـة الاجتماعية وسـيَعُدُّ نفسَـه بـكل فخر واحدا مـن هذه الأمة الإسـلامية القويـة. وإن هـذا الانتماء إلى الأمـة الإسـلامية هـو الـذي يَصونه من صدمات الشـعور بالحقـارة وفقـدان الهوية.

إننـا نعيـش في عالَـم تسـعى الحضـارة الغربيـة فيـه أن تحتكر لأنفسـها كل مشـاعر الفخر والاعتـزاز. وتَـوَدُّ أن تُغلِـق ابواب كل صنـوف الفخـر والاعتـزاز بالهويـة عـلى من ينتمي إلى أمم أخرى. أما الإمام الحسـين(ع) فلا يسـمح بـأن نُضَيِّع هويتنا بل يجعلنا نَفخَـر بهويتنا انتمائنـا إلى قومه وجماعته.

أنتـم تشـاهدون أن في حـرم الإمـام الحسـين(ع) ولا سـيما في موسـم الأربعين تَنخرط جميـع القوميات تحت هوية واحدة باسـم مـوالي الحسـين(ع) أو زوار الحسـين(ع). والـكل يَعتـز بهـذه الهويـة. ثم يَتسـابق أبناء شـتى القوميـات والجنسـيات في أن يدعوا خلافاتهـم القوميـة جانبـا ويجتمعـوا تحـت رايـة الحسـين(ع) الواحـدة. فلا يمكنكـم أن تجدوا مثيلا لهـذه الظاهـرة في أي بقعة مـن بقـاع العـالم. وكان الإمـام الخميني(رحمـه اللـه) يقـول: ليـس عامـل كالإمام الحسـين(ع) قادرا عـلى تعزيز الوحـدة وتقوية الشعوب..

كل مـا هنالـك أنـه يَنبغـي لنـا تعزيـز هـذه الآثار في أنفسـنا من خـلال الـمعرفة والتعلم. فكـما أن الصـلاة إذا صُلِّيَـت من دون حضور القلب وأن القرآن الكريم إذا تُلِي من دون التفات إلى معانيه العميقة سـيكون ضعيف الأثر أو عديمه فإن من الـممكن أن لا تَتـرُك الزيـارة إلا آثارا ضعيفة بسـبب ضعـف حضور القلب فيها.

لكـن لِنعلـم أن لِزيـارة الإمـام الحسـين عليـه السـلام الآثـار الأعظم مقارنةً بسـائر العبـادات؛ ذلـك أن التعبير عن مشـاعر الحب لسـيد الشـهداء عليـه السـلام يكـون عـادةً عـن صـدق وإخـلاص. وإن العمل الصـادر عن إخـلاص يكون أعظـم أثرا.

و إنـه لـدم الإمـام الحسـين عليه السـلام وشـهادته بمثل تلـك الظلامة هما اللـذان يـُحرّكان في النفوس هذه العواطـف ويَجعلان العمل بهـذا الإخلاص.

حينما يَسـمع الناس لصوت ناعي الحسـين(ع) تَرونهم يَنسـون أنفسـهم بل حتى يَغضّون الطرف عن أجر البكاء على الحسين(ع) فلا يُخشِـع قلبَ الإنسـان ولا يدير دموعه سوى حب الحسين(ع).

و انتم حينما تَهتِفون بشـعار "أَبَد والله ما نَنْسَى حُسَـيْنا" فإنكم في لحظة هتافكم تَنسـون أنفسـكم وشـؤونكم وقضاياكم كلها ولا يَبقَى في بالِكم سـوى الحسـين(ع) وهـذا هو الاخلاص.

و هذا يُمَثِّلُ أعلى درجات الإخلاص مع أنه يَحصُل بسـهولة وفي ميسـور أي إنسـان أن يَطوِي مسـير مئة عام في ليلة واحدة لِينالَ هذه الدرجة الرفيعة من الإخلاص. وإن الإخلاص أمر عسـير ولا يمكن للإنسـان أن يُنجز بسـهولة عملا خالصا.

إذن فلابـد لنـا مـن ترويـج زيـارة الحسـين(ع) كـما فعل أئمتنا المعصومـون؛ إذ وعـدوا الزوار بأجـر كبير وثواب عظيـم. كما يجب تعبيـد طـرق الزيـارة لجميـع الـزوار. وإن رأفـة الشـعب العراقي بزوار الحسـين(ع) هو أعظم فعـل لجذب القلـوب إلى زيارة أبي عبـد اللـه الحسـين(ع) ولا يُمكِـن أن نَـرى عظمـة أجر كرم الشـعب العراقي ورأفتـه بالزوار إلا في يـوم القيامة.

لابـد أن يَعـرِف الجميـع مـن اهـل العـالم أن هنا مثوى أكثر شـخصية محبوبة في تاريخ حيـاة البشر. بعد ذلك سيتسـاءلُ الجميع لمـاذا يَملـك الإمـام الحسـين(ع) هـذا التأثير الشـديد على محبيه وأتباعـه؟ وهذه النقطة هي منطلـق معرفة الحق.

أيّ امـرء وإن لم يكـن مسـلما فبإمكانـه أن يزور الحسـين(ع) ويشـاهد هـذا التأثير على القلوب. يجب علينا أن نَشُـقَّ طريق أهل العـالم إلى كربـلاء ليكـون ذلك مقدمة لإدراك حقيقة الحسـين(ع) وظهـور الحق على الباطل في جميـع أرجاء العالم.

نعـم قـد يُقـال: عـلى الرّغم من هذه الزيـارات ومجالس العزاء وأثرها العظيم لا تزال أوسـاطنا بما فيها الزوار تُعاني من مشـاكل. وهنـاك آفـات قـد أضرّت بالزيـارة ومراسـم العـزاء. نعـم؛ قـد لا تَـترك الزيـارة أثرهـا عـلى البعـض أو كان أثرهـا طفيفا أو تَـوَرَّط البعض لأسـباب شـتى بآفات. ولكن المهم أولا هو أن في الزيارة قابلية عظيمة في التأثير ومتى ما أراد الإنسـان بوسـعه أن يَحظَى بتأثيرهـا. وزيـارة الحسـين(ع) بحد ذاتهـا خالية من أي آفة أو آثار سـلبية.

نحن نعلم فى الرواية "رُبَّ تالِ القُرآن والقُرآنُ يَلعَنُهُ" ولا توجد هذه الآثار فى هذه العبادة.

ثانيا: تَشـهد حركة المجتمع على مَدَى التاريخ بأن هذه الآثار تُظهِر نفسـها شـيئا فشـيئا فالحقيقة الحسـينية هي التي سـتكون لها الكَلِمَةُ العُلْيَا.

و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.